مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies

مجلة الدراسات اللغوية

المجلد الخامس عشر – العدد الثالث (رجب - رمضان ١٤٣٤هـ/ مايو - يوليه ٢٠١٣م)

فصلية محكمة تعنى بدراسة النحو والصرف واللغويات والعروض

- توظيف المثل عند الصاغاني (٦٥٠ هـ) في مقدمة العباب الزاخر واللباب الفاخر
- نحو منهج تداولي في تحليل الخطاب الأدبي
- أسئلة الصّراع حول مُوسيقَى الشّعر
- مبادئ طبولوجيا المقابلة اللسانية
- فقه اللغة وسر العربية للثعالبي في طبعة جديدة

أولاً: البحوث والدراسات

توظيف المثل عند الصاغاني (٦٥٠هـ)
في مقدمة العباب الزاخر واللباب الفاخر

البندري بنت خالد بن براك السديري

أستاذ فقه اللغة المساعد بكلية الآداب

جامعة الدمام

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين، أما بعد؛ فيعد المثل أحد فنون القول النثرية التي يشترك فيها الخاصة والعامة في التعبير عن مرادهم؛ لأنه "حكمة العرب في الجاهلية والإسلام"(١)؛ فهو يصور حياة الناس وأحوال معاشراتهم ومعاشهم ، وقد أوجزت العرب لفظه فأشبعت معناه، وقصرت عبارته فطال مغزاه(٢).

و"المثل : مأخوذ من المثال، وهو قول سائر يشبّه به حال الثاني بالأول والأصل فيه التشبيه"(٣).

والمثل من صور الأدب الرمزي(٤) المتداول بين الناس، الذي يتيح لهم أسلوب التلويح دون التصريح في كلامهم؛ مما يكفل لهم السلامة من ردة فعل الآخرين، ويختصر عليهم أبوابا طويلة من الحديث، فالمثل عند المتكلم والسامع رمز على معنى معين معروف لكليهما. والمثل – كما أسلفنا– له سيرورة وتداول بين الخاصة والعامة لأنه يتحدث عن "الحاجة الشخصية، في ثوب إنساني عام"(٥)، فقد تناوله الخاصة من علماء العربية بالدرس والفحص، وكانت لهم مؤلفات كثيرة في ذلك بين جامع وشارح لها، غير أنه ندر من اتخذها أسلوبا لتقديم كتابه على غرار ما

(١) كتاب الأمثال، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: د. عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م: ٣٤

(٢) ينظر: المستقصى في أمثال العرب، لأبي القاسم جار الله الزمخشري، دار الكتب العلمية / بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م: المقدمة /ب–ج

(٣) مجمع الأمثال، لأبي الفضل الميداني، قدم له وعلق عليه نعيم حسين زرزور، دار الكتب العلمية / بيروت : ج٣٣ / ١.

(٤) ينظر: الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، د. عبد المجيد قطامش، دار الفكر / دمشق:٣٢.

(٥) الأمثال العربية القديمة مع اعتناء خاص بكتاب الأمثال لأبي عبيد، تأليف المستشرق الألماني رودلف زلهايم، ترجمه عن الألمانية وحققه: د. رمضان عبد التواب / دار الأمانة، مؤسسة الرسالة / بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م: ٢٥.

فعله الصاغاني[١] في مقدمة معجمه (العباب الزاخر واللباب الفاخر)[٢]، ففي الوقت الذي عمد فيه أكثر اللغويين القدماء إلى استعراض محصولهم اللغوي عن طريق عرض المفردات والأساليب المصنوعة في مقدمات معاجمهم؛ وذلك لأنها

(١) الصاغاني هو: أبو الفضائل رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر القرشي العدوي العمري (من ولد عمر بن الخطاب– رضي الله عنه–) الصاغاني، ولد بـ(لاهور) بالهند عام (٥٧٧هـ)، كان شيخاً صالحاً صدوقاً وإماماً في اللغة والفقه والحديث، سمع من النظّام، والمرغينانيّ، وحدث عنه الشرف الدمياطي، له تصانيف كثيرة منها: مجمع البحرين في اللغة، التكملة على الصحاح، العباب الزاخر واللباب الفاخر (مات لم يتمه)، والشوارد من اللغات، ونقعة الصديان في علم الحديث،وكتاب الفرائض وغيرها توفي سنة (٦٥٠هـ) ببغداد. تنظر ترجمته في: إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني (٧٤٣هـ)، ت: د.عبد المجيد دياب/ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ: ٩٨–١٠٠؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي (٧٤٨هـ)، ت: د.بشار معروف وآخرين، مؤسسة الرسالة/ بيروت، الطبعة الحادية عشرة ١٩٩٦م:٢٣: ٢٨٤؛ الجواهر المضية في طبقات الحنفية محيي الدين بن أبي الوفاء القرشي (٧٧٥هـ)، ت: د.عبد الفتاح الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان/ الجيزة، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ: ٢: ٨٢–٨٤؛ البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، للفيروزابادي (٨١٧هـ)، ت: محمد المصري، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع/ دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م: ١١٧؛ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي (٨٧٤هـ)،ت: محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية/ لبنان، الطبعة الأولى١٩٩٢م:٧: ٢٣–٢٤؛ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي،ت: محمد أبو الفضل، دار الفكر،الطبعة الثانية ١٩٧٩م: ١: ٥١٩–٥٢١؛شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ)، أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، حققه: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير/ دمشق، بيروت، الطبعة الأولى١٩٩١م: ٧: ٤٣١–٤٣٢.

(٢) معجم لغوي ألفه الصاغاني بدءا من سنة (٦٤٣هـ) ومات ولم يتمه، إذ وصل إلى مادة (ب ك م)، يرمي من كتابه جمع ألفاظ العربية ماعدا المهمل منها، والتصحيح، وبخاصة تصحيح الشواهد، اتبع الصاغاني طريقة القافية في ترتيب مواد المعجم وهي التي تجعل الحرف الأخير بابا والأول فصلا، متأثرا بطريقة ترتيب معجم الصحاح، رجع فيه إلى كتب كثيرة منها العين للخليل، والمحيط لابن عباد، والتهذيب للأزهري، والمجمل لابن فارس، ينظر: العباب الزاخر واللباب الفاخر، تحقيق د. فير محمد حسن راجعته وأشرفت على طبعه لجنة مجمعية مطبوعات المجمع العلمي العراقي، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ج١: ٩–١٠؛ المعجم العربي نشأته وتطوره، د. حسين نصار، مكتبة مصر، الطبعة الرابعة ١٩٨٨م: ٤١٧–٤٢٨؛ التذكرة في المعاجم العربية – معاجم الألفاظ نشأتها وتطورها، د.محمد سلطاني، دار العصماء/ دمشق، الطبعة الأولى٢٠٠٢م: ٥٠.

مقدمة من إنشائهم وتعبيرهم الخاص ولا يكون للرواية والنقل فيها حظ كبير، فتتنوع أساليبهم في ذلك بين استخدام المفردات الجزلة ذات الإيقاع القوي، والجمل المسجوعة المترادفة التي قد تطول لعدة سطور، نجد الصاغاني آثر في مقدمة معجمه (العباب الزاخر واللباب الفاخر) استخدام طريقة غير مألوفة لدى العلماء في إبراز قوة ساعده وتميزه عن غيره، تجلى ذلك من خلال سرده لمجموعة من أمثال العرب سردا متتاليا، بأسلوب موجه لعلماء اللغة وأصحاب المعاجم خاصة، ممَن يتسقط منهم على بعض أوجه الهنات الواردة في كتابه منبها إلى عدم ورود الخطأ والزلل، فاخرا بنفسه بطريقة مُكنّاة يفهمها اللغويون لأنه يخاطبهم ببعض صنعتهم. فأحببت أن أقف على هذه الأمثال من خلال كتب الأمثال والمعاجم؛ لأبين طريقة استخدام الصاغاني لها وإن كان أورد الرواية الصحيحة وترك الأصح منها، وذلك لأنها لديه سبيل يفتخر فيها بمخزونه اللغوي، ولا سيما أنه وجه كثيراً من النقود إلى أصحاب المعاجم في بعض رواياتهم اللغوية بعد هذا السرد المَثَلي مباشرة، فهل كان بمنأى عن تلك الأخطاء؟؟

إذن فهذا البحث يهدف إلى قراءة متعمقة لفكر اللغوي (من خلال الصاغاني) حين يستخدم أداة صنعته (اللغة) في توصيل المعاني للآخرين، وطريقة توظيفه لها (أسلوب المثل أنموذجا)، وكيف يرمي بالمعاني في شباك الذين يضاهونه علما؟، فهل كان للغويين سبيل أخرى غير معلنة يتخاطبون بها أو يتراشقون بها، ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبلها العذاب؟ هل كانت اللغة أداة طيعة في إيصال معناه كما هي أداة طيعة في نقل ألفاظه؟، أم أن اللغويين يتوارثون الألفاظ لاعتمادهم على النقل والرواية فلا تجدد في ألفاظهم؟، ما المواطن التي يخشى بعض اللغويين ـ وليس كلهم ـ تحاشيها حين التأليف التي تنبئ بها صيغة الاستخدام؟

وتدخل هذه الدراسة ضمن مجال الدلالة اللغوية؛ فالدلالة علم يدرس

المعنى[١]، والدلالة السياقية ـ التي يدور البحث في فلكها ـ من أهم أنواعها؛ إذ إن معنى الكلمة المفردة لا يتحقق إلا بارتباطها بما قبلها وما بعدها من خلال السياق[٢]. ومن أهم وحدات الدلالة :الكلمة المفردة والجملة[٣]؛ فالألفاظ رموز صوتية تتآلف فيما بينها لتشكل الجمل التي تحمل المعاني سواء كانت حقيقية أو مجازية. واستخدم الصاغاني المعاني المجازية للتعبير عن مراده حيث إن معظم الأمثال المستخدمة في كل اللغات مجازية[٤]، فهل كنّت الأمثال بمعانيها المجازية عن مقاصده؟ هذا ما سيكشفه البحث مع التطرق للدلات الأخرى الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية حسب اقتضاء الدلالة السياقية.

يقول الصاغاني: "ولعل من سماه الناس عالماً ولم يفنِ في العلم يوما كاملا، أو بعض المتحذلقين، ومن هو دون القلتين يطالع هذا الكتاب ويطلع على بيت منه غير منسوب، وهو في غيره من كتب اللغة كالتهذيب والصحاح والمجمل وغيرها منسوب، أو بيت منسوب إلى غير من نُسب إليه في هذه الكتب، أو صدر بيت عجزه مغير فيها، أو عجز بيت صدره مغير فيها، أو حديث وقد جعلوه مثلاً، أو مثل وقد جعلوه حديثاً، فظن أنه وجد تمرة الغراب، أو سبق الهجين العراب هيهات تضرب في حديد بارد ؛

أوْرَدَها سَعْدٌ وسَعْدٌ مُشْتَمِلْ مَا هكذا تُوْرَدُ يا سَعْدُ الإبِلْ

صَمِّي صِمَامِ

(١) ينظر: علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب/القاهرة، الطبعة الخامسة ١٩٩٨م:١١.

(٢) ينظر: علم الدلالة بين النظر والتطبيق، د. أحمد الكراعين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع/ بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٣م:١٠٠.

(٣) علم الدلالة، د.أحمد مختار عمر:٣٢.

(٤) ينظر: علم الدلالة (علم المعنى)، د. محمد علي الخولي، دار الفلاح للنشر والتوزيع/الأردن ٢٠٠١م: ١٦.

أَطْرِقْ كَرَا أَطْرِق كَرَا إنّ النّعامَ في القُرَى
أُنْظُرْ لِرِجْلِكَ قَبْل الخَطْوِ موقِفَها فَمَنْ عَلا زَلَقاً عَنْ غِرَّةٍ زَلَجا
رُبَّ كَلِمَةٍ تقول دعني . إذا ناواك الرِّجالُ فاصْبِرْ . ليس بِعُشكِ فادْرُجِيْ
ما اسْمُك أُذْكُر"(١).

فبدأ بالمثل:

١- وجد تمرة الغراب

وهنا يقلل الصاغاني ـ بأسلوب ساخر مستخدما فيه المثل ـ من شأن العلماء الذين سيجدون في رواياته وشواهده التي ساقها في المعجم اختلافا عما ورد في كتب اللغة الأم فيأخذون عليه المآخذ.

وبتتبع المثل نجد أن له حضورا كبيرا في المعاجم(٢) وكتب الأمثال(٣) على

(١) العباب الزاخر واللباب الفاخر :ج١: ١١-١٢.

(٢) ينظر: كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الفراهيدي، ت: د.مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال (ت م ر) ٨/ ١١٩؛ تهذيب اللغة، للأزهري، ت: عبد السلام هارون وآخرين، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء للنشر ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة ٨/ ١١٩؛ المحيط في اللغة، للصاحب بن عباد، ت: الشيخ محمد آل ياسين، عالم الكتب / بيروت، الطبعة الأولى١٤١٤هـ- ١٩٩٤م (ت م ر):٤٣٢/٩؛ أساس البلاغة، للزمخشري، ت: أ.عبد الرحيم محمود، دار المعرفة / بيروت: (ت م ر) ٣٩؛ لسان العرب، لابن منظور، نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه: علي شيري، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٨م : (غ ر ب) ١٠/ ٣٧.

(٣) ينظر: كتاب الأمثال، لأبي عبيد: ١٨٧؛ (كتاب) الحيوان، للجاحظ، ت: عبد السلام هارون، دار الجيل/ بيروت ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م :٣/ ٢٥؛ الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة، للإمام حمزة الأصبهاني، ت: عبد المجيد قطامش، دار المعارف /القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٧م، ٢/ ٤٥٩؛ كتاب الأمثال، المنسوب لزيد بن رفاعة الهاشمي،ت: د. علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع/ دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م:٢٦٢؛ كتاب جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، دار ابن حزم/ بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م: ٥٦١ ؛ التمثيل والمحاضرة، لأبي منصور الثعالبي، ت: د.قصي الحسين، دار ومكتبة الهلال/بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م؛ مجمع الأمثال٢/ ٤٢٧؛ المستقصى٢/ ٣٧٣؛ فرائد اللآل في مجمع الأمثال، للشيخ إبراهيم الطرابلسي، ت: د.قصي الحسين، دار ومكتبة الهلال/ بيروت، الطبعة الأولى٢٠٠٣م، ٢/ ٣٢٧؛ الأمثال العربية والعصر الجاهلي (دراسة تحليلية) د. =

اختلاف رواياتـه، ومعنى المثل، أنه ظفر بالشيء النفيس ووجـد ما رضيه، وأفضل ما أراد وذلك أن الغراب يطلب من التمـر أجـوده وأطيبه [١]. والمثل له روايات أخرى هي، أصـاب تـمـرة الـغـراب[٢] وأصـاب ثَـمَـرَةَ الـغراب[٣]، ووجـد ثَـمَـرَة الغراب[٤]. وكلها استبدال كلمة بكلمة، غير أن الصاغاني لم يثبت في المقدمة إلا رواية واحدة وهي (وجد تمرة الغراب). واختلاف الروايات هاهنا دليل على كثرة تداول هذا المثل وسيرورته؛ فرواية (أصاب تمرة الغراب) استبدلت فيها كلمة (وجد) بكلمة (أصاب)، وهذا من قبيل استبدال مفردة بأخرى وهو من صور التغير التي تصيب المثل[٥]، غير أن أكثر الروايات التي وجدناها هي (وجد) وكلاهما تدلان على المعنى نفسه ألا وهو الحصول على الشيء.

أما الكلمة التي تحتاج إلى تحقيق فهي قولهم (ثمرة) بدلا من تمرة، وأعتقد أن الأصل هو (تمرة) وأن الكلمة دخل فيها تصحيف، حيث زيدت نقطة على تاء (تمرة) لتصبح ثاء (ثمرة) لعدة أسباب :

= محمد توفيق أبو علي، دار النفائس/ بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٨م: ٥؛ معجم الأمثال العربية –٨٨٢ مثلا شائعا مع شروحها واستعمالاتها– د. محمود أحمد صيني، ناصف مصطفى عبدالعزيز، مصطفى أحمد سليمان، مكتبة لبنان/ بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م:٢٢؛ الأمثال العربية القديمة دراسة نحوية، د.محمد جمال صقر، مطبعة المدني/ القاهرة، الطبعة الأولى٢٠٠٠م: ٨٥.

(١) ينظر : مجمع الأمثال٢/ ٤٢٧؛ الأساس : (ت م ر) ٣٩؛ فرائد الخرائد في الأمثال؛ لأبي يعقوب بن يوسف بن طاهر الخويي/ معجم في الأمثال والحكم النثرية والشعرية، ت: د. عبد الرزاق حسين، دار النفائس / الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م: ٣١١.

(٢) ينظر: مجمع الأمثال:١/ ٥٠٦–٥٠٧.

(٣) ينظر: فرائد الخرائد في الأمثال : ٣١١؛ التمثيل والمحاضرة :٣٦.

(٤) ينظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب؛ لأبي منصور الثعالبي، ت: د. قصي الحسين، دار ومكتبة الهلال/بيروت، الطبعة الأولى٢٠٠٣م: ٣٧٥؛ نكتة الأمثال ونفثة السحر الحلال، لأبي الربيع سليمان الكلاعي، ت: د. علي كردي، دار سعد الدين /دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٥م:١١٢؛ تاج العروس وجواهر القاموس، للسيد مرتضى الزبيدي، ت: عبد الكريم العزباوي : ٣/ ٤٦٧ .

(٥) ينظر: الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية :٢١٦.

١- قول الثعالبي (ت٤٢٩هـ) في (ثمار القلوب): "وجد ثمرة الغراب، وذلك أن الغراب إنما يبتغي من الثمر أجوده وأنضجه لقرب تناوله عليه من رؤوس النخل"(١)، فكلمة النخل إشارة قوية للتمر لأن ثمر النخل هو التمر. وقد أدرج الثعالبي هذا المثل في كتاب (التمثيل والمحاضرة) تحت التمر ورواه بالتاء(٢).

٢- قول الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) في المستقصى: "وجد تمرة الغراب: أي مراده وما اختاره لأن الغراب يتخير أطيب التمر وأحلاه"(٣)، فكلمة (أحلاه) تدل دلالة واضحة على التمر؛ لأنه ليس له إلا طعم واحد فقط وهو (الحلاوة) أما بقية الثمار فطعومها مختلفة.

٣- ورود التمر كثيرا في أمثالهم ؛لأنه مما يكثر في بيئتهم ويعتمد عليه في طعامهم فمن ذلك: "كلاهما وتمْرا"، "كمستبضع التمر إلى هجر"، "أشبه به من التمرة بالتمرة"، "وأرخص من التمر بالبصرة"، "التمرة إلى التمرة تمر"، "ما كل سوداء تمرة، ولا بيضاء شحمة"، "أعط أخاك تمرة، فإن أبى فجمرة"(٤).

٤- اقتران التمر والغراب في مثل آخر عند العرب وهو: الغراب أعرف بالتمر(٥).

٥-ذكر أغلب المصادر رواية (تمرة الغراب) وقلة من روى (ثمرة الغراب)(٦) يجعلنا نذهب إلى قول: إنها الأصح، وبخاصة أن محقق كتاب (الحيوان) أثبت

(١) ٣٧٥.

(٢) ١٦٧.

(٣) ٢/ ٣٧٣.

(٤) ينظر: الفاخر؛ للمفضل بن سلمة، ت: عبد العليم الطحاوي، مراجعة محمد النجار: الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٧٤م: ١٤٩؛ التمثيل والمحاضرة: ١٦٧؛ الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية: ٤٣٢-٤٣٣.

(٥) الدرة الفاخرة :٢/ ٤٥٩ .

(٦) في الهامش (٢) و(٣) من هذه الصفحة أوردنا من روى (ثمرة)؛ أما بقية المصادر التي اعتمد عليها في هذا البحث ممن تطرق إلى المثل، فأوردت رواية (تمرة).

في المتن (تمرة)، وعلق في الهامش أن هناك رواية أخرى هي (ثمرة) فلو كانت هي الأصح لأثبتها في المتن.

وهنا يكون الصاغاني قد أورد الرواية الأكثر صحة وورودا في مقدمة معجمه.

٢- سَبَق الهجينُ العِراب:

الهجين: "الخيل الذي ولدته بِرْذَوْنة من حصان عربي"(١)، والبرذونة من الخيل ماكانت من غير نتاج العِراب(٢). والعِراب :الخيل الذي ليس فيها عرق هجين، وكذلك الإبل، فهي منسوبة إلى العرب(٣) .

ولم أقف على هذا المثل فيما وقع تحت يدي من كتب الأمثال و المعاجم وكتب الخيل، فلعل له أصلا ـ من وجهة نظري ـ لكنه من العلم النادر الذي لم يصل إلينا، فعلمه الصاغاني واستشهد به بيانا لكثرة مخزونه ومعرفته لنادر اللغة، وجهلناه.

وقد وِجهتُ إلى أنه قد يكون هذا المثل مصنوعا صنعه الصاغاني نفسه(٤)، وهو ما لا اتجه إليه؛ لأنه في معرض مفاخرة وإثبات الأصالة في النقل وتميزه عن غيره في ذلك، فكيف يستشهد بمثل صنعه بنفسه؟.

وقد ورد استخدام اللفظين معا في حال المقارنة بين نوعي الخيل (العراب) و(الهجين) في كلام العرب كما في المثل ؛ فقال الشاعر (٥):

ولا يدرك العُرْب الهجين بجلهِ ولا حليهِ في سرجهِ ولجامهِ

وربما عبروا عن هذه المقارنة بلفظ (العتيق) بدلا من (العراب) مقابل

(١) اللسان: (هـ ج ن)١٥/ ٤٢.

(٢) ينظر: اللسان: (ب ر ذ ن)١/ ٣٧٠.

(٣) ينظر: السابق: (ع ر ب) ٩/ ١١٥.

(٤) سألت بعض الأساتذة في تخصصي فقه اللغة والنحو والصرف عن هذا المثل، فأجابوني بعدم معرفتهم له، وأشار بعضهم إلى أن المثل قد يكون من صناعة الصاغاني نفسه.

(٥) لم أقف للبيت على نسبه، وينظر: عقد الأجياد في الصافنات الجياد، لمحمد بن عبدالقادر الجزائري، طبع بولاية سوريا، ١٢٩٢هـ: ٣٦.

(الهجين)، قال الشاعر الجاهلي مرة بن ذهل بن شيبان[١]:

وإذا تقـــــــابل مجْرِيانِ لغايــة عثر الهــجين وأسلمته الأرجل

ويجي الصريح مع العتاق معوداً قرب الجياد فلم يجئه الأفكل

فهذه الاستخدامات تزيد من احتمال وجود المثل وأصالته، قبل الصاغاني.

ومعنى المثل بالرجوع إلى المعنى اللغوي : أن الخيول المهجنة فازت وأحرزت قصب السبق على الخيول العربية الأصيلة على غير المعتاد، وهنا يكني الصاغاني عن نفسه بالخيل العراب وعن العلماء الذين يحصون زلاته بالخيل الهجين، فيقول: إن لسان حال هؤلاء يقول: إنهم وجدوا على الصاغاني مأخذا، على الرغم من أنهم ليسوا بمثل مكانته العالية في العلم.

ويتعين أن يكون المقصود بـ(العراب) هنا الخيل لا الإبل؛ وذلك أن العرب تطلق على الخيل (الهجين)، تقصد الخيول من غير نتاج الخيل العربية الأصيلة، أما الإبل فيطلق عليها (البَخاتيّ) إذا خالطها عرق غير عربي[٢]؛ لأن الصيغ المشتقة من مادة (هـ ج ن) تستخدمها العرب مع الإبل بقصد البيض الكرام والخيار منها[٣]، كلفظة (مُهْجَنَة) و(هِجان)، فلم أجد في مادة (هـ ج ن)في لسان العرب صيغة (الهجين) مستخدمة للإبل، بل كانت لا ترد إلا مع الخيل.

٣- هيهات تضرب في حديد بارد:

وهو عجز بيت من الشعر يضرب لمن لامطمع فيه، وفي البخيل، وفي التنبيه إلى عدم تضييع الوقت في مزاولة مالا فائدة فيه[٤]، والبيت بكامله:

---

(١) ينظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر، لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي، عناية ومراجعة: كمال مرعي، المكتبة العصرية/ بيروت، الطبعة الأولى١٤٢٥هـ :٣: ٤١؛ السابق.

(٢) ينظر: اللسان: (ب خ ت) ١ / ٣٢٨.

(٣) ينظر: السابق: (هـ ج ن)٤٢ /١٥-٤٣.

(٤) ينظر: مجمع الأمثال:١ / ١٧٤- ٢ / ٤٥٧؛ المستقصى ٢ / ٢٩؛ تمثال الأمثال، جمال الدين الشيبي،=

يا خَادِعَ البُخَلاءِ عَنْ أمْوالِهم هَيْهَات تَضْرِبُ في حَديدٍ باردِ[١]

وورد الصدر برواية أخرى هي :

منَّتَك نفسُك أن تكونَ خليفةً هيهاتَ تضربُ في حديدٍ باردِ

غير أن الصدر الأول أكثر ورودا من الصدر الثاني؛ إذ لم يرد الصدر الثاني إلا في تهميش محقق الأمثال لأبي عبيد فقط[٢].

وإذا ما أنعمنا النظر في الشطرين الأوليين من البيتين؛ سنجد أن الشطر الأول أقرب إلى أن يكون هو الشاهد الأساسي وذلك لاتفاق أربعة مصادر عليه، أما الأخير فمصدر واحد فقط. يضاف إلى ذلك ورود لفظة (خليفة) فهي من المصطلحات السياسية الإسلامية[٣]، فلو افترضنا أن هذا المثل من الإرث اللغوي للعصر الجاهلي فلن يرد فيه مثل هذا المصطلح بمفهومه السياسي.

وللمثل انتشار على لسان العامة كما جاء في كتاب (الجوهرة في الأمثال) من (العقد الفريد): "وقالت العامة: يضرب في حديد بارد "[٤] تحت باب "طلب الحاجة في غير موضعها"[٥].

= ت: د. قصي الحسين، دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأولى٢٠٠٣م: ٢٣٦؛ معجم الأمثال العربية ٧٥؛ معجم كنوز الأمثال والحكم العربية النثرية والشعرية، د.كمال خلايلي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م:٦١؛ المنتخب من أمثال العرب مثل وقصة ومضرب، عبد السلام العشري، نهضة مصر/ القاهرة :٢٧٩.

(١) عيون الأخبار، لابن قتيبة الدينوري، وزارة الثقافة والإرشاد القومي/ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ١٩١٦م: ٣/ ١٣٥؛ مجمع الأمثال : ٢ / ٤٥٧؛ فرائد الخرائد: ٥٦٩؛ فرائد اللآل: ٢/ ٣٤٦.

(٢) ٢٤٦، الهامش (٧٨٣)، وفيها أشار المحقق إلى أن ذلك ورد في حاشية الأصل لبعضهم، ولم أقف للبيت على نسبة لقائل.

(٣) ينظر: مقدمة ابن خلدون، دار القلم /بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٨١م:١٩٠-١٩١.

(٤) العقد الفريد، لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، ت: مفيد محمد قميحة، مكتبة المعارف / الرياض، دار الكتب العلمية/بيروت، الطبعة الأولى١٩٨٣م :٣٠ / ٦٦.

(٥) السابق:٣٠/ ٦٥.

وتطور المثل على لسان العامة فجاء على صور عديدة هي:

١- حذف بعض ألفاظه، فقالوا: "تَضرِبُ في حديد بارد" (١). فحذفت لفظة (هيهات) من صدر المثل، والحذف يأتي لكثرة الاستعمال(٢).

٢- تحويل الضمير المستتر في كلمة (تضرب) من المخاطب إلى الغائب، فقالوا: "يضرب في حديد بارد"(٣) فقد حُوِّل ضمير الخطاب المستتر (أنت) إلى ضمير الغائب المستتر أيضا (هو).

٣- تصدير المثل بالضمير، فقالوا: "هو يضرب في حديد بارد "(٤)، تعزيزا لضمير الغائب المستتر، فأصبح يستخدم للحاضر والغائب على حد سواء، والتغيير فيه بالنظر إلى المقامات والأقوال، وما ذلك إلا تأكيد على كثرة استخدام المثل.

٤- استبدال بعض ألفاظه بأخرى فقالوا: " تنفخ في حديد بارد"(٥).

وكثرة التغيرات التي طرأت على المثل دلت على سعة انتشاره.

ومهما يكن من أمر فإن الصاغاني في هذا المثل قطع على كل من تحدث له نفسه بأن يبحث عن سقطات وهنات في كتابه هذا، لا سيما أن المثل يضرب في "التنبيه إلى عدم جدوى المحاولة أو تضييع الوقت في مزاولة مالا فائدة فيه"(٦).

٤- أوْرَدَها سَعْدٌ وسَعْدٌ مُشْتَمِلْ مَا هكذا تُوْرَدُ يا سَعْدُ الإِبِلْ

للرجز قصة معروفة؛ وهي أن رجلا يقال له: مالك بن زيد مناة – وكان آبل أهل زمانه – وعندما أراد أن يتزوج أورد الإبل أخاه سعدا، غير أن الأخير لم يحسن القيام عليها والرفق بها، فارتجل مالك هذا الرجز ورد عليه أخوه برجز آخر، ويقال:

(١) المستقصى: ١/ ٢٩.

(٢) كتاب سيبويه، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت: ٢/ ١٣٠.

(٣) العقد الفريد: ٣٠/ ٦٦.

(٤) الدرة اليتيمة: ١٢.

(٥) الأمثال البغدادية: ١١.

(٦) معجم الأمثال العربية للصيني: ٦٤.

إن زوج مالك – النوار – هي من ارتجلت ذلك الرجز(١).

هذان المشطوران مما اختُلف عليهما عند العلماء رواية ومعنىً؛ فوردت في المشطور الثاني منهما روايات عدة هي:

١– أوْرَدَها سَعْدٌ وسَعْدٌ مُشْتَمِلْ يا سَعْدُ لا تُرْوَى بهذاك الإبِلْ(٢)

٢– أوْرَدَها سَعْدٌ وسَعْدٌ مُشْتَمِلْ يا سَعْدُ لا تَرْوَى بهذاك الإبِلْ(٣)

٣– أوْرَدَها سَعْدٌ وسَعْدٌ مُشْتَمِلْ يا سَعْد لا تَرْوِي على ذاك الإبِلْ(٤)

٤– أوْرَدَها سَعْدٌ وسَعْدٌ مُشْتَمِلْ يا سَعْد ما تُرْوَى بهذاك الإبِلْ(٥)

٥– أوْرَدَها سَعْدٌ وسَعْدٌ مُشْتَمِلْ يا سَعْد لا تَرْوِ بها ذاك الإبِلْ(٦)

٦– أوْردَها سَعْدٌ وسَعْدٌ مُشْتَمِل ما هكذا يا سعْدُ تُورَدُ الإبِلْ(٧)

٧– أوْرَدَها سَعْدٌ وسَعْدٌ مُشْتَمِلْ مَا هكذا تُوْرَدُ يا سَعْدُ الإبِلْ(٨)

ففي الرواية الأولى: قدم اسم العلم (سعد) ووردت لفظة (تُروى) بالبناء للمفعول مصدّرة بـ(لا) النافية بعده، وأُتبعت باسم الإشارة للبعيد (كذا) مسبوقا بهاء التنبيه وحرف الجر (الكاف).

(١) ينظر القصة بأرجازها في: كتاب الأمثال لأبي عبيد: ٢٤٠؛ الدرة الفاخرة: ١/ ٧٢؛ ذيل الأمالي للقالي: ٢/ ٥٨٧؛ أساس البلاغة: (ش م ل) ٢٤٢؛ مجمع الأمثال: ٢/ ٤٢٩.

(٢) العين: (ش م ل) ٦/ ٢٦٦؛ التهذيب: (ش ر ع) ١/ ٤٢٦؛ مجمع الأمثال: ٢/ ٤٢٩؛ تاج العروس: (ش ر ع) ٢١/ ٢٦٧.

(٣) اللسان: (ش رع) ٧/ ٨٦؛ القاموس المحيط، للفيروزآبادي، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة / بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ–١٩٩٣م: (ش رع) ٩٤٧.

(٤) العقد الفريد (الجوهرة في الأمثال): ٣٠/ ٤٦.

(٥) التمثيل والمحاضرة: ٢٠٢؛ فصل المقال: ٢٥٣.

(٦) المحيط في اللغة (ش م ل) ٧/ ٣٣٩.

(٧) مجمع الأمثال: ٢/ ٤٢٩؛ اللسان: (خ ن ط ل) ٤/ ٢٣٣؛ فرائد اللآل: ٢/ ٣٢٩.

(٨) الدرة الفاخرة: ١/ ٧٢؛ ذيل الأمالي للقالي: ٢/ ٥٨٧؛ جمهرة الأمثال: ٥٧؛ المستقصى: ١/ ٢؛ فرائد الخرائد ٥٥٧–٥٥٨؛ القاموس: (ش رع) ٩٤٧؛ تاج العروس: (ش ر ع) ٢١/ ٢٦٨.

الرواية الثانية: كالأولى سوى أن الفعل معها بني للفاعل(تَروى) وأُسند لسعد.

الرواية الثالثة: كالأولى أيضا؛ حيث بني الفعل فيها للفاعل (تروي) لكنه أسند إلى الإبل وجاء حرف الجر (على) بدلا من (الباء) وتفرد فيها ابن عبدربه (٣٢٨هـ) مما يجعلني أميل إلى تحريفها لعدم تواتر الرواية فيها وعلى هذا تخرج من الروايات.

الرواية الرابعة : كالأولى تماما غير أنه استبدلت فيه (لا) النافية بـ(ما) النافية.

أما الرواية الخامسة: فـ(لا) ناهية جزمت الفعل (ترو)، ثم أُتي بحرف الجر مقترنا بالضمير (بها) ثم اسم الإشارة للبعيد وكأنه قصد (لا ترو بالإبل ذاك المكان) فأخر الإبل وجعل الضمير (ها) العائد عليها مقدماً للضرورة الشعرية فيكون قد أتى بالإبل حتى يفسر الضمير، وهي عبارة مقلقلة، ولم يروها إلا الصاحب بن عباد في المحيط (٣٨٥هـ) ـ على ما رأيت ـ ولعل ذاك من التحريف، وعلى هذا تخرج من الروايات.

الرواية السادسة: صدر المشطور فيها بـ(ما) النافية، فاسم الإشارة للقريب (ذا) مسبوقا بهاء التنبيه وحرف الجر (الكاف)، فالعلم فاللفظة (تُورد) بدلا من (تروى) وهي مثلها مبنية للمفعول.

الرواية السابعة: كالثانية عدا تقديم وتأخير بين العلم و الفعل، وهي رواية الصاغاني في مقدمته.

نخلص من هذا العرض أنه لا يمكننا الجزم بأصالة أي الروايات وأيتها طالتها يد التحريف؛ لأنها كلها صحيحة الوزن والمعنى أيضا، فكلها متمشية مع وزن بحر (الرجز) الذي وزن صدره وعجزه (مستفلعن/ مستفعلن/ مستفعلن) وإن دخل على بعضها الزحافات لكن إن اعتمدنا على عدم تواتر الروايات وتفرد عالم فقط بروايتها، فقد نخرج الرواية الثالثة والخامسة.

غير أننا لو تأملنا في الشطرين مرة أخرى قد نغلب جانب الروايتين اللتين وردت فيهما لفظة (تورد) لسببين :

١– أن العرب قديما تستخدم لفظة (ورد) وما اشتق منها إذا ما أرادت التعبير عن الذهاب إلى مورد الماء وهذا ما جاء في القرآن الكريم : ﴿ **وَلَمَّا وَرَدَ** ﴾ [القصص : ٢٣]، ولا تستخدم مع الإبل خاصة (روي) وإنما تستخدم لفظة (ورد) .

٢– أن اللفظة وردت في الشطر الأول (أوردها) ومعنى أوردها : أحضرها إلى المورد[١]، ووروودها في الشطر الثاني تأكيدا للأولى، ومجانسة لفظية لها فالتجانس اللفظي محمود في الشعر؛ لأهميته في الإيقاع الصوتي (يورد) .

أما معنى المثل فاختلف فيه بين إدراك المراد بلا تعب ولا مشقة[٢]، وبين التقصير في الأمر إيثارا للراحة على المشقة[٣]، وبين الحض على الكسب[٤] .

والراجح ـ ولا شك عندي ـ هو التقصير في الأمر طلبا للراحة؛ وهذا ما تدل عليه القصة وهو ما ذهب إليه بعض ممن تناولوا المثل[٥]، وواضح أسلوب العتب من قبل صاحب الرجز مما يتفق مع هذا المعنى . والمشطوران من الشعر الذي جرى مجرى الأمثال، والدليل ورودهما في كتب الأمثال، وكذلك نص بعض اللغويين على ذلك؛ يقول الخليل (١٧٥هـ) في مادة (ش م ل) من العين : قبل أن يروي المشطورين "ومن أمثال العرب"[٦]، وقال عنهما الأزهري (٣٧٠هـ) في مادة (س ع د) من التهذيب : "وفي المثل"[٧] .

(١) ينظر : القاموس : (و ر د) ٤١٥ .

(٢) ينظر على سبيل المثال : العين : (ش م ل) ٦ / ٢٦٦؛ كتاب الأمثال للأصمعي :٨٢؛ كتاب الأمثال لأبي عبيد : ٢٤٠؛ التهذيب (س ع د) ٢ / ٧٢؛ التمثيل والمحاضرة : ٢٠٢؛ المستقصى : ١ / ٤٣٠ .

(٣) ينظر : الدرة الفاخرة :٢ / ٧٢ ؛ فرائد الخرائد :٥٥٨ .

(٤) ينظر : العقد الفريد (الجوهرة في الأمثال) : ٣٠ / ٤٦ .

(٥) ينظر : جمهرة الأمثال :٥٧؛ فصل المقال :٢٥٣؛ مجمع الأمثال :٢ / ٤٢٩؛ فرائد اللآل :٢ / ٣٢٩ .

(٦) ٦ / ٢٦٦ .

(٧) ٢ / ٧٢ .

وإذا جزمنا بأن معنى المثل هو التقصير في أداء العمل، يكون استشهاد الصاغاني فيه صحيحا؛ لأن من يبحث له عن سقطة في هذا الكتاب سيقصِّر لا محالة كما ذكر، واللافت للنظر هو أن رواية المشطور في العباب التي وردت في المقدمة هي:

أوْرَدَها سَعْدٌ وسَعْدٌ مُشْتَمِلْ مَا هكذا تُورَدُ يا سَعْدُ الإِبِلْ

أما التي وردت داخل معجمه (العباب) ولعلها في مادة(ش ر ع)هي رواية :

أوْرَدَها سَعْدٌ وسَعْدٌ مُشْتَمِلْ يا سَعْدُ لا تُرْوَى بهذاك الإِبلْ(١)

وهذا يعارض ما ذهب إليه من أن من يبحث في ثنايا كتابه لن يجد عيبا، لأنه هنا أورد في المقدمة رواية وفي متن المعجم رواية أخرى فأيهما الأصح في نظره؟.

٥- " صَمِّي صِمامِ" :

ومعنى المثل هو: اخرسي يا داهية(٢)، وتقوله العرب أيضا في تعظيم الأمر(٣)، وفي الصحاح مادة (ص م م) ورد أن معنى المثل؛ زيدي يا داهية(٤)، وإلى ذلك ذهب الميداني(٥١٨هـ) في مجمع الأمثال حين قال: " إذا أبى الفريقان الصلح ولجوا في الاختلاف، لا تجيبي الراقي وداومي على حالك"(٥)، وهنا نلاحظ التضاد

(١) هذا ما ذكره محقق التاج، حيث علق في الهامش على هذه الرواية بأنها في العباب وسكت عن وجود روايات أخرى فيه. التاج : (ش ر ع)٢١/ ٢٦٧.

(٢) ينظر : الأمثال لأبي عبيد:٣٤٩؛ كتاب الأفعال، للسرقسطي، تحقيق: د. حسين شرف مراجعة محمد مهدي علام،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية/ القاهرة ١٩٧٨م : ٢/ ٢٩٣.

(٣) ينظر: مجمل اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة/بيروت، الطبعة الأولى١٩٨٤م: (ص م م) ٢/ ٥٣١؛ معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد فارس، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل/ بيروت، الطبعة الأولى١٤١١هـ-١٩٩١م: (ص م م) ٣/ ٢٧٨.

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين/بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م: ٥/ ١٩٦٧؛ وينظر: القاموس: (ص م م) ١٤٥٩.

(٥) ١/ ٤٩٨.

في المعنى بين اخرسي يا داهية وزيدي، ولعل المقصود هو تعاظم الأمر وزيادته، أو يقال" للرجل يجيء بالداهية صَمِّي ياصَمامِ، أي اخرسي ياصمام"(١)، أي أتى من هو أدهى منك، وتقوله العرب أيضا إذا دهتهم داهية متحدّين ما نزل بهم بهذه الكلمة معلنين بها ثباتهم (٢).

وللمثل تتمة لم يذكرها إلا زيد بن رفاعة (زهاء٣٧٣ هـ) حين قال: "صمي صمام وانظري أين المفر" وذكر أن "صمام" هي النعامة، مخالفا بذلك اللغويين الذين قالوا بأن صماما هي الداهية، ولديه معنى المثل هو: "تغافل عما يسؤك، واطلب الخلاص منه "(٣).

ووردت (صِمام) بكسر الصاد في مقدمة العباب، وقد نقبت عن هذا المثل في كتب الأمثال، واللغة، والمعاجم(٤)، فرأيت إجماعا على أن وزنها بفتح الصاد لا بكسرها، بل قد مثل لها الجوهري في الصحاح بقوله: "مثال قَطَامِ"(٥)، وحتى في الكتب المتأخرة عنه، التي جعلت العباب مصدراً رئيساً لها مثل: القاموس(٦) وتاج العروس(٧)، تعرضت للمثل بفتح الصاد لا بكسرها.

(١) (كتاب) الألفاظ، لابن السكيت يعقوب بن إسحاق، ت: د.فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان/ بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م:٣١٧.

(٢) ينظر: المعجم في الأساليب العربية والإسلامية؛ محمد أديب جمران، مكتبة العبيكان/ الرياض، الطبعة الأولى١٩٩٩م: ٣١٥.

(٣) كتاب الأمثال :١٥٤

(٤) الأمثال للأصمعي:١٦٠؛ الأمثال لأبي عبيد: ٣٤٨؛ الألفاظ لابن السكيت :٣١٧؛ جمهرة اللغة: (ص م م)١٤٤/ ١؛ الأمثال لابن رفاعة:١٥٤؛ الدرة الفاخرة:٢/ ٤٩٩؛ جمهرة الأمثال:٣٦١؛ فصل المقال: ٣٣٨؛ المخصص، لابن سيده، دار الكتاب الإسلامي/القاهرة: ١٢/ ١٤٥؛ مجمع الأمثال:١/ ٤٩٨؛ المستقصى:٢/ ١٤٣؛ الأساس: (ص م م)٢٥٩ ؛ المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث للأصفهاني، ت:عبد الكريم الغرباوي، جامعة أم القرى، ١٤٠٨هـ:٢/ ٥٨١؛ نكتة الأمثال:١٧؛ اللسان:(ص م م) ٧/ ٤١٢؛ تمثال الأمثال :١٧٥ وزاد وروا (فصَمّي).

(٥) (ص م م)٥/ ١٩٦٧.

(٦) (ص م م)١٤٥٩.

(٧) (ص م م)٣٢/ ٥١٤.

وجعلها الفارابي بزنة (فَعَال)، بفتح الفاء حين قال :" ويقال للداهية : صَمِّي صَمامِ مثل قَطَام" . مما يؤكد أنها بالفتح، لا بالكسر. وفي وزن (فِعال) يجعل الصِمام :" صِمام القارورة : سِدادها"(١) .

وأظن أن ذلك تصحيفا من النساخ ؛ لأن الصاغاني نفسه في التكملة قال: "والصِّمَّة بالكسر صِمام القارورة"(٢) مما يعني أنه يفرق بين ما كان بالفتح وما كان مكسورا من اللفظة.

وأراد الصاغاني هنا معنى اخرسي ياداهية ؛ لأنه يوجه الحديث إلى من يحصي عثراته في المعجم.

٦- أَطْرِق كرا أَطْرِق كرا إن النَّعام في القُرى

الكرا ذكر الكروان(٣) وقيل هو ترخيم له، والكروان هو طائر صغير معروف يشبه البط، يُسمَّى القبج والحجل، لا ينام ليلا لذلك سُمّي بضده(٤). وهذا من الرجز الذي غدا من أمثال العرب، يضرب مثلا للجاهل الذي يتكلم بحضرة العالم، أو الأقل مكانة يتكلم بحضرة الشريف، أو يضرب لمن تكبر وقد تواضع من هو أشرف منه، أو للرجل يتكلم عنده فيظن أنه المقصود بالكلام يقول له المتكلم: اسكت فإني أريد من هو أنبل منك، وقولهم: إن النعام في القرى: أي تأتيك

(١) ديوان الأدب للفارابي، ت: د.أحمد مختار عمر، مراجعة د.إبراهيم أنيس، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية / القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٤م: ٣/ ٦٦، ٩٤.

(٢) التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، للصغاني، ت: عبد العليم الطحاوي وآخرين،مطبعة دار الكتب/القاهرة ١٩٧٠-١٩٧٩م: (ص م م)٦/ ٧٢.

(٣) العين : (ك ر و)٤٠٠/٥.

(٤) ينظر: الأمثال لزيد بن رفاعة:٣٦ ؛ التهذيب:(ك ر١) ١٠/ ٣٤١ ؛ جمهرة اللغة، لأبي بكر بن دريد، ت: د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى١٩٨٧م: (ك رو) ٢/ ٨٠٠؛ المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده، ت: مصطفى السقا، د.حسين نصار، معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية، الطبعة الأولى، ١٩٥٨م: ٧/ ١٠٠؛ مجمع الأمثال: ١/ ٥٤١ ؛ المستقصى :١/ ٢٢١ ؛ فرائد اللآل:١/ ٤٠٠؛معجم الأمثال العربية٢/ ٥٩٩.

فتدوسك بأخفافها، والنعام هم الأجلاء، والكرا هو الذليل(١).

كانوا يقولون الرجز- وربما زادوا عليه وأنت لن ترى- للكروان عند اصطياده، فيطرق فيلقون عليه ثوبا فيصطادونه بسهولة ؛ لأنه كان يسقط على الأرض ويطرق لخداع الإنسان(٢) .

وقد أورده بعض اللغويين على أنه مثل لا رجز؛ كالخليل، وابن دريد (٣٢١هـ)، والأزهري، والصاحب بن عباد (٣٨٥هـ)، والجوهري (٣٩٣هـ)، وابن فارس (٣٩٥هـ)، وأبي هلال العسكري (بعد٣٩٥هـ)، وابن سيده (٤٥٨هـ)، والميداني (٥١٨هـ)، والزمخشري (٥٣٨هـ)(٣). والحقيقة أنه من بيت من الرجز(٤) المجزوء.

وهناك اختلاف يسير في رواية (إن النعام في القرى) حيث وردت في مقدمة الصاغاني هكذا (النعام) بصيغة الجمع، ووردت في بعض المصادر والمراجع (النعامة)(٥)، وتلك ـ من وجهة نظري ـ غير صحيحة؛ وذلك أن هذا المثل أصله رجز؛ ومن هنا فالوزن العروضي لا يستقيم مع النعامة، إذ الوزن العروضي هكذا:

---

(١) ينظر: المقصور والممدود للفراء، ت: ماجد الذهبي، مؤسسة الرسالة/ بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٣م: ٦٦؛ الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر الأنباري، ت: د.حاتم الضامن اعتنى به: عز الدين النجار، مؤسسة الرسالة/بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٢م: ٢/ ٣٦٢؛ الأمثال لزيد بن رفاعة :٣٦ ؛ جمهرة الأمثال:١١٨؛ التهذيب: (ك را) ١٠/ ٣٤١؛ مجمع الأمثال: ١/ ٥٤١ ؛ المستقصى :١/ ٢٢١.

(٢) ينظر : الدرة الفاخرة:١/ ١٥٥.

(٣) ينظر: العين: (كرو)٥/ ٤٠٠؛ جمهرة اللغة: (ط ر ق)٢/ ٧٥٧، (ك ر و) ٢/ ٨٠٠؛ التهذيب: (ك را) ١٠/ ٣٤١؛ المحيط: (ك ر و) ٦/ ٧١٥؛ الصحاح: (ط ر ق) ٤ / ١٥١٦؛ المجمل: (ط ر ق) ٢/ ٥٩٥؛ جمهرة الأمثال:١١٨؛ المحكم: (ك ر و)٧/ ١٠٠؛ مجمع الأمثال١/ ٥٤١ ؛ المستقصى : ١/ ٢٢١.

(٤) ينظر: خزانة الأدب ولب لباب العرب للبغدادي، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي/ مصر: ٢/ ٣٧٤.

(٥) المقاييس: (ك ر ى)٥/ ١٧٤؛ مجمع الأمثال:١/ ٥٤١؛ الدرة اليتيمة: ٧٣؛ فرائد اللآل: ١/ ٤٠٠؛ معجم الأمثال العربية لخير الدين باشا: ٢/ ٥٩٩.

أطرق كرا أطرق كرا
مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ
إن النعا م في القرى
مُسْتَفْعِلُنْ مُتَفْعِلُـــنْ

ومع إفراد النعام لتصبح (النعامة) ينكسر الوزن.

والكرى بالألف المقصورة يقصد به النوم، أما الكرا بمعنى الكروان فيكتب بالألف(١)، مع ذلك ورد في بعض الكتب بالألف المقصورة كجمهرة الأمثال(٢)، والدرة اليتيمة(٣).

وعلى هذا يكون الصاغاني قد وجه ضربة قوية لكل من تطاول على معجمه يبحث عن مواطن ضعف، فكل من يفعل ذلك فهو كـ(الكرا) يجب أن يخفض رأسه بحضرة الأعزة الأجلاء (الصاغاني) ويتوقف عن الإعجاب بنفسه وهو يقول له: "اسكت وتوقَّ انتشار ما تلفظ به؛ كراهية ما يتعقبه"(٤)، وأفلح الصاغاني في كتابة الرجز مشطورا، وفي كتابة الكرا بالألف المقصورة، وكأن هذه إحدى رسائله المكناة لقراء كتابه وقبلهم علماء اللغة بصحة ما يكتبه وما ينقله.

٧- انْظُرْ لرجلك قبل الخطو موقفها فمن علا زلقا عن غرة زلجا

معنى البيت؛ إذا سعيت في أمر فاعرف مواطئ قدمك قبل أن تعلوها فإن من ركب مزلقة عن غفلة يوشك أن يسقط(٥)، ويستعمل في الحث على الاحتراس

(١) ينظر: المقصور والممدود : ٦٦؛ الزاهر في معاني كلمات الناس:٢/ ٣٦٣.
(٢) ١١٨.
(٣) ٧٣.
(٤) وهذا معنى المثل عند الصاغاني في العباب الذي نقل في خزانة الأدب:٢/ ٣٧٦.
(٥) ينظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، نشره أحمد أمين، عبد السلام هارون، دار الجيل/ بيروت،الطبعة الأولى ١٩٩١م:٢/ ١١٧٥. والغرة: الغفلة، اللسان (غ ر ر)١٠/ ٤٥، زلق: أرض ملساء، زلجا : التاج(ز ل ق)٢٥/ ٤١٢.